

خطاب الهوية ورهانات بعث القيم الثقافية العربية

The discourse of identity and stakes for the resurrection of Arab cultural values

كربوش كريم^{*1}

¹جامعة سطيف 2، (الجزائر)، kerbouche.karim21@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/05/02 تاريخ القبول: 2021/07/05 تاريخ النشر: 2021/07/15

ملخص:

إن المفكر العربي اشتغل بالبحث في مشروع فلسفة الهوية بكل امتداداتها وتمثلاتها القيمية كغيره من مفكري العالم، في عالم أضحى مفتوحا على كل قيم صنائع الكشف العقلانية، التي تنزع على الدوام لرسم خارطة الحياة الواعية الخلاقة، توخيا لقيم مستتلة وأخرى تجذب الوطن العربي حيناً من الدهر إلى عالمية التغريب. في خلال هذه التجديلات الثقافية والتاريخية المتعاقبة يطرح الفكر العربي فرضيات وتخمينات جريئة وأصيلة حول مضمون مقارنة النظر بالممارسة، واستخلاص أفضل النتائج من ثورات العقل العرفانية التي أهلت الوعي العربي كي يحاكي الصناعة الثورية لفلسفة القيم التوعوية لإنسان الحضارة في الأزمنة المعاصرة، مثل رسم مخططات إعداد المجتمع الديمقراطي، وإيصال القيم السياسية والاجتماعية والثقافية عموماً بمملكة الأنسنة الحقيقية، في خلال معايشة واقع التغريب و التوحش البادي في سلوك ونزوع الطبيعة البشرية المعاصرة. وموضوع بحثنا ينصب على حول الإشكالية التي منطوقها: كيف السبيل لتفعيل فلسفة الهوية ورهانات التثاقف في الخطاب النخبوي العربي؟ وما هي بدائل إحالة الأزمات إلى نزوع تقديمي حضاري؟.

الكلمات المفتاحية: هوية - وعي - ثقافة - أزمة ثقافية - الخطاب العربي

Abstract:

The Arab thinker has been engaged in researching the project of identity philosophy with all its extensions and value representations like other thinkers of the world, in a world that has become open to all the values of rational discovery industries, which tend to always draw a map of creative conscious life, for the sake of stolen and other values that attract the Arab world from time to time The universality of Westernization. Through these successive cultural and historical alterations, Arab thought poses bold and original assumptions and guesses about the content of the approach to consideration of practice, and extracting the best results from the erotic, revolutionary minds that qualified Arabic consciousness in order to emulate the revolutionary industry of the philosophy of the educational values of the human being of civilization in contemporary times, such as drawing plans to prepare a democratic society And to communicate the political, social and cultural values in general with the real human being, through experiencing the reality of alienation and apparent brutality in the behavior and tendency of contemporary human nature. And the topic of our research is focused on the problematic issue that is spoken: How to activate the philosophy of identity and the stakes of acculturation in the elite Arab discourse? What are the alternatives to referring crises to a progressive, civilized tendency?

Keywords: Identity - consciousness - culture - cultural crisis - Arab discourse

1- مقدمة:

لا ريب أن الإنسان الذي ينزع بذات عاقلة، مفعمة بالاهتمام ومناهل الخيال الفياض بأفكاره وآرائه وأطروحاته المتنوعة، ما فتئ يستكشف أسرار العالم البشري، وإرادة الحياة والتغيير في الواقع، مستلهما من أفكاره نهج الحقيقة وماهيتها، ولا ينصب اهتمامه على فهم وتعقل الواقع وحسب، لأن ثمة نزوع لتعقل هوية الذات، وهوية الانتماء. و للهوية هاهنا كينونة وعقيدة حياة. ولا شك أن مقاربات حصلت، وسجلات عقدت، وجدالات نوقشت بين الأخصائيين من دعاة الحداثة وأنصار الأصالة، ليستحكم العقل العربي الناظر في واقعه وثقافته في فلسفتي التراث والعصرنة، بغرض فهم وتفسير مقارنة الماضي بالحاضر ليستقر الفكر العربي - عبر بوابة الخطاب الثقافي المزدوج - حري حينئذ بالعقل العربي فهم مجمل المقاربات الأيديولوجية والثقافية المنبثقة عن كل توتر أو تأزم ثقافي، لإعادة تشكيل الوعي الحداثي الحضاري، وكذا خلخلة المفاهيم الفاعلة والمنفعلة لإعادة تقويم وتنظيم دلالاتها وحولاتها الأيديولوجية والحضارية، في ظل سيطرة جدليات مفارقة الوعي من جهة، والدعوة إلى تواصل ومقاربات ثقافية مزعومة في الفكر العربي المعاصر. وتعتبر مشكلة الهوية أبرز القضايا موضع السجال والنقاش الذي تأسس بين الباحثين والمفكرين العرب. تطرح هذه المشكلة باعتبارها فرضية مستجدة لهوية هويتنا العربية، على رسلها يعقد السجال وتتحدد معالم الخطاب الثقافي المعاصر، إذ يتعرض لمنطق راهنية الخطاب النهضوي الحداثي العربي، سعيا منه إلى تعقب أزمت وعقبات التنمية والنمو في واقعنا الثقافي، وكذا التفكير في استراتيجيات التحدي الراهن لتخطي أزمت الوعي والثقافة وكل ما من شأنه أن يشكل عقبة إيجابية في وجه الفكر الإحيائي، لأجل بعث القيم الدينامية لروح الوعي ومنطق الثقافة، وفلسفة التحرر والنمو في واقع التنمية الثقافية العربية. نحاول في هذا المقال أن نسهم في عرض مختصر القراءات لمضامين الخطابات التنويرية في الفكر العربي الحديث والمعاصر، الذي أبانت عنه الأنتلجانشيا العربية، خاصة فيما له علاقة بالموضوع الراهن: كيف تمثلت النخب العربية خطاب الهوية في راهن التحديات القيمية الثقافية؟

2 - الأزمة الثقافية وإعادة تشكيل الوعي العربي:

2 - 1 - خطاب أزمة أم أزمة خطاب: مد نزع العقل العربي إلى محاكاة وتقليد العقل الغربي في مسالك حركاته التنويرية، تعالت الخطابات وتنوعت القراءات حول طبيعة الأسس والشروط التي ينبغي للعقلية العربية ترشيدها لأجل مباشرة فعل النهضة، ثم البدء بتحليل وتفسير أسباب الأزمة التي استفحلت بالثقافة العربية في الأزمنة الحديثة. وتلك سلسلة من حلقات الجدل والسجال نطالعتها في أبحاث المفكرين والباحثين العرب منذ عصر النهضة ابتداء من محاولات علماء النهضة بعث النزعة الإحيائية في العقلانية العربية نظرا وتفعيلا لواقع استشرافي يضاهي في أفق مقاصده ما بلغته الحضارة الأوروبية. ثم إن أزمة الأمة العربية موعلة في تاريخها البعيد والقريب، لأن ثمة أسباب تقتضيها مثلما أن ظروف أحاطت بمستويات شدة وطأتها على الشعوب، منها ما يترد إلى السياسات التي تنتهجها الدول عندما تفرض القيود على الحريات أو سعيا منها إلى كبت الطاقات الفعالة في الفرد والجماعة. " ففي كلتا الحالتين تنشأ أزمة ثقافية مآلها البعيد أفول حضارة، وفي القريب زوال الالتزام بين المجتمع والفرد زوالا... فالأزمة الثقافية تنمو وتنمو معها أيضا نتائجها، من الحد الذي يمكن تداركه بالتعديل البسيط، إلى الحد الذي يصبح فيه التعديل مستحيلا، أو لا يمكن إلا بثورة ثقافية عارمة، تكون في الحقيقة بمثابة انطلاقة

جديدة للحياة الاجتماعية من نقطة الصفر" (نبي، 1984، صفحة 91). ومنها ما يجلي سلطة الاستبداد الأجنبي الذي يترصص بكيان ووحدة الأمة لأجل إضعافها وتشتيبتها، لتضع حصانة الفكر وتشتت الأفكار في زخم المعاناة فيخيم الاستعباد على الإرادة ليقضي على فاعليتها ونزوعه إلى استيعاب أسباب الركود وضرورات النهضة والتغيير، حينها تختل معادلة إيصال الفكر بالعمل. ولعل هذا ما عناه ابن نبي بقوله: " فإن المصادفة تحل فيه محل الأفكار والمحاولات، والجانب الثاني من المسألة التي نتاولها هنا هو العجز عن التفكير وعن العمل وهو في المجال النفسي يدل على انعدام الرباط المنطقي (الجدلي) بين الفكر ونتيجته المادية، فالفكرة و العمل لا يتمثلان كلا لا يتجزأ. والواقع أننا عندما نحلل اطراد أي نشاط له علاقة ما بالحياة العامة للنهضة نجده مبتورا من جانب أو آخر: فإما فكرة لا تحقق، وإما عامل لا يتصل بمجهود فكري" (نبي، وجهة العالم الاسلامي، 2012، صفحة 83). تلك مشكلتنا مع ذواتنا إذ تستبد بنا المفاهيم السلبية لتحول دون تفعيل دينامية الثقاف الحقيقي، مثلما أن استكانة الواقع ضدا عن كل مباشرة نخضوية محتملة تطبعه إمارات الانهزامية الدونية، إذ نعقد مقارنات فارقة بين حضارتنا وحضارات الغرب المتقدمة، لتضل فلسفة المقاومة المشروعة لمنطق الحضارة وقف على النخب (القيادة). وفي ظل التجديلات الأيديولوجية لكيثونة الوضع العربي الراهن تعرض فرضيات من لدن المفكرين ليعاد تشريح وتعليل أسباب الهيمنة الثقافية التغريبية. إلى هذا المقصد عرض مُجد أركون خطاب القومية والهوية في الفكر العربي، من خلال مؤلفه: " الفكر العربي" إذ يقول: " الأيديولوجيات تعرب عن الطريقة التي بها تدرك طبقة اجتماعية أو جماعة قومية علاقاتها بشروط وجودها، وهذا الطراز من حياة الفكر يسود في أوقات الفوران الاجتماعي والسياسي، وإن وظيفته هي وظيفة قناع وحجاب معا. إن يقوم في الواقع على إرجاع تعقد الواقع التاريخي والسوسيولوجي والنفسي إلى جملة من الآراء المتسقة إلى حد كبير أو صغير وغرضها إبراز قيمة أهداف عمل جمعي وتسويغها" (أركون، 1985، صفحة 160). ولا شك أن الخطاب العربي شهد تعقيدات عديدة حالت دون انبعائه بشكل تقدمي، بفعل التأثيرات الداخلية والخارجية، وأكثرها وطأ الهيمنة الاستعمارية وأشكال الغزو الثقافي المتسارعة، التي طمست معها إرادة الحياة التقدمية في الواقع العربي والإسلامي التاريخي، ليحدث بها انقطاعات واختلالات عديدة على مستويات الحياة الاجتماعية والثقافية والدينية. لأجل ذلك لا أحد يحدد حقيقة نوايا المستعمرات إذ تطأ أقدامها بيئات مهزومة. حينئذ يستبان نزوع السلب والقمع الذي نستقرئه من وحي من الظاهرة الاستعمارية بكل انعكاساتها السلبية، " لقد شدت ظاهرة الاستعمار أزر عوامل الانقطاعات، ولا سيما على صعيد الفكر، حيث يزيد من خطرها ضروب اللاتوازن النفسي . الاجتماعي . الاقتصادي، وتفاقم أحوال التوتر بين التقاليد وبين الحياة الحديثة، بدون أن تعوض هذه الظاهرة بالنجذاب فكر قادر على تجاوز، أو على مجرد تأويل الأزمات الناشئة عن مجابهات غير متكافئة تأويلا صحيحا" (أركون، 1985، صفحة 160). في ظل هذا الشتات الثقافي وتعتت الهيمنة الاستعمارية يعاد بعث الماضي من جهة ما هو حصن التراث وملهم روح الهوية في تاريخ الأمة العربية. إذ ما الذي يتبقى للأمة إذا طمست تاريخها وتغربت بثقافة الغرب ولم تنتصر للغتها وعقيدتها وتاريخها؟ لا شك أن سيادة أية أمة مستوحاة من استقلاليتها وفرض منطق حريتها على كل مناحي الحياة، ولا شك أن الضامن لحياتنا هو تاريخنا، هو تراثنا الذي يغمر روحنا، ويعبئ أزممتنا في اطرادها وتواصلها. " التراث مبادئ نظرية تكفل لنا الحرية الاجتماعية المنشودة وجدناها من جهة أبعد ما تكون عن

التطبيق الشامل، بحيث تَهبط إلينا وكأنها العرف الذي ليس من سيادته مناص... وليست مشكلة الحرية بمقصورة علينا في هذا العصر، بل إنها لتتسع حتى تكاد تعم العالم كله، وإن تنوعت أشكالها بتنوع الظروف، فهو عصر تميز بكثرة ما شهدته من نظم ديكتاتورية ونازية وفاشية وعسكرية" (محمود، 1993، صفحة 17). وإذا كان للحرية تأصيل وحضور في الخطاب السياسي والاجتماعي أو الاقتصادي، فإن خطابا حول الحرية القومية والتحرر الأيديولوجي، سيتجاوز خطاب العادة الذي نطالعه في أفكار الباحثين والعلماء. أما شأن الحرية القومية والأمية فلها صلات أخرى بمشكلات الهوية والصالة والمعاصرة، أو ما يصطلح عليه لدى مجتمع النخبة بالحدائثة والتقليد. ولا ريب أن مشكلة الحرية قد نالت حظها من التفكيك والاستبيان استقراء وتحليلا وفهما ونقدا. والكائن العاقل لا يعقل من دونها، والفكر الحر يؤمن بالحرية الفكرية. وقد أشار "علي حرب" إلى المقصد الدلالي والوظيفة التشغيلية لفلسفة الحرية في الخطاب العربي المعاصر فيقول: " طبعاً نحن لا نتحدث عن الحرية فقط في سياقها الأكاديمي كمعضلة من المعضلات الوجودية التي يجري تداولها في الدرس الفلسفي، وإنما نناقش القضية أيضاً في سياقها السياسي المجتمعي الراهن العربي والعالمي... لأننا نراهن على تغيير في مجرى الأشياء بصورة من الصور... لأن الكلام بحذ ذاته هو شكل من أشكال التعبير عن الحرية، بقدر ما هو نمط من أنماط الفعل والتأثير في المجريات على مستوى من المستويات" (حرب، 2008، صفحة 151). وإنا هاهنا لن نبرح مشكلة الحرية بافتراض حلول احتمالية ظنية، لأن لها حمولات وأفهمات عالقة بمضامينها الذاتية والموضوعية، مثل اعتقاد الجماهير وهي تتعاطى شعار الحرية اعتقاداً منهم بأنها قيمة القيم ومؤشر الكرامة، وحسبنا أن نقول كذا النخبويون وقعوا في مأزق الدلالة، فيتعاطون الحمولة الدلالية على نحو تداولي لا على نحو نقدي تحليلي. وحده النقد يزيح الأفكار الميتة والاعتقادات التراجعية للفكر الفعال. ثمة إذن مقولة محورية لمقولة الحرية، توجب مساءلة جادة، مقصدها التماس تفسير أو فهم منطقي عقلاني لجدلية العلاقة بين الفعالية والانفعالية، فمسائل الأفكار التي تحاييها العواطف والأفكار التي تصنعها الأفكار، لأن لها موضعاً في العقل. " إن النقد المنتج الفعال، أي النقد الذي يضاعف إمكانية الفهم ويولد مزيداً من الفاعلية، والذي يستبعده المثقف حتى الآن هو نقد الكوجيتو، هذه العلاقة المركبة بين الذات والفكر والحقيقة، إنه نقد تركز المثقف على ذاته من أجل تعرية العلاقة التي يقيمها مع أفكاره ومفاهيمه. فالمتقنون هم ضحايا أفكارهم أو أنماطهم في التفكير. هذه هي المناطق الخصبة التي ينبغي أن تخضع للنقد والتحليل، وإلا بقيت المساجلات حول حرية التعبير وحق الاختلاف وحقوق الإنسان على هامش المجتمع" (حرب، أوهايم النخبة أو نقد المثقف، 2004، صفحة 44). إن خلخلة الأفكار وتفكيك الخطابات، وتحقيق موضوعية تنصب حول مشكلة الحرية تفرض على الفكر الناظر والمحلل إعادة قراءة مضامين المشكلة في حديها الذاتي والموضوعي، في إطار علاقة الفرد بالسلطة، ومن خلاله نعرض لمشكلة التماهي الوظيفي خطاب النخب من جهة ما هو حد واصل بين الجماهير والسلطة. والواقع أن تجربتنا مع الحرية لا زالت فتية، سلبية في مواضع ووهية إذ يرتفع الاعتقاد بطوباويتها، كذا وعينا انطباعي لا عقلاني، إذ نجهر بها ولا نقدر على تنظيمها وتعبئة قيمها الأخلاقية والحضارية. ومما يؤشر لطابعها العشوائي، الإنفعالي هو تداخلها مع نوازع الذات اللاشعورية وتماهيها مع العواطف والأحاسيس من دون عقلنة. كذا تنحرف الحرية الفردية عن مسارها إذ تعلن المواجهة الحاسمة مع السلطة فتتبدى في صورة جدل وصراع أو صدام، باعتبار الدولة - بنظر

الفرد - عائق دون ممارسة الفعل الحر تفكيراً وتعبيراً وتفعيلاً. " إن الحرية في نطاق الدولة لا تعدو كونها تعبير عن ذاتها بكيفية عكسية في شكل طوبوي، لكن الدولة لم تكن تمثل بالنسبة للفرد إلا حيزاً ضيقاً... هذه هي الحالة السابقة لعصر النهضة. سيعرف العالم العربي الإسلامي تطورات عميقة تهم الدولة والمجتمع في آن واحد، وستتغير بالتالي علاقة الدولة بالمجتمع وعلاقة الحرية كواقع بالحرية كطوبى، وستتحقق من جديد الجدل الذي ذكرناه سابقاً: كلما ضاق مجال الحرية كواقع ازدادت قوة ودقة الحرية كمركز ومفهوم. هذا الجدل هو الذي سيخلق حاجة إلى مفهوم جديد وتعبير جديد، سيلجأ العالم العربي إلى تعابير أجنبية، لكن مضمون تلك التعابير سينبع من واقع تطورات المجتمع الإسلامي التقليدي" (العروي، 2012، صفحة 32).

2 - 2 - وطأة الاغتراب ونزوع إلى إعادة تشكيل الوعي:

لقد كانت للانتفاضات الثورية العربية في مطلع القرن العشرين أن رسّمت للحياة فلسفة تقدمية أكثر يقظة وتبصراً بخصوصية النضال، وكذا تعقّل فلسفة الحرية النضالية التوعوية، ضداً عن كل أشكال الاستبداد والجهل، الذي استبد بفكر وكيان الإنسان العربي. وقد أبان عن هذه النقطة الثورية البديلة مفري النهضة أمثال عبد الرحمن الكواكبي، والطهطاوي، ومُجد رشيد رضا، ومُجد عبده وآخرون، ممن أسهموا في إحياء وبعث العقلية الثقافية العربية اقتداءاً وتجديداً. وقد أفرد "الكواكبي" لمؤلفيه: ' طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد' و ' أم القرى' قدراً لا يستهان به من الأفكار والآراء النيرة إذ أسهمت في تبصرة الوعي وإبانة خطورة الجهل والاستبداد من جهة ما هما حوائل دون نهضة الأمة، إذ يقول: " من أقبح أنواع الاستبداد استبداد الجهل على العلم، واستبداد النفس على العقل ويسمى استبداد المرء على نفسه، وذلك أن الله جلت نعمه خلق الإنسان حراً فائده العقل، فكفر وأبى إلا أن يكون عبداً قائده الجهل" (الكواكبي، 2006، صفحة 42). ولا شك أن حال الشعوب العربية بعد عصر الضعف قد عرف تراجعاً خطيراً على مناحي الحياة، وبلغت الأوضاع الاجتماعية حداً لا يحتمل من الجهل والبؤس والمعاناة، ولا غرابة أن الحملات الصليبية الشرسة التي شنتها بعض الدول الغربية على الدول العربية مثل الجزائر ومصر والعراق. لكن هذه الثورات كانت دافعا قويا لميلاد ثوار وعلماء ومفكرين أنجبتهم الثورات، ناضلوا بالقلم والسلاح لأجل إفهام العالم أن من الضعف تستلهم القوى والعبقرية. فقد " بلغت صلابة المقاومين الجزائريين أنها جعلت فريديريك أنجلز - المفكر الماركسي الكبير يتحول في نظريته إلى هذه الثورة خلال عشر سنوات من تقييم وصف فيه الجزائريون أنهم بدو وكانوا أمة من اللصوص، وفي عام 1884 يصف الجزائر وشعبها بأن هذا البلد الشقي كان طوال هذه الفترة مسرحاً لأحداث دموية ونهب وعنف" (الهندي، 2012، صفحة 339). إن الجزائر لقنت العدو المستبد درساً في البطولة والفداء والوحدة، إذ فاقت تصورات العدو حول سداجة الشعب. " إن هذه الحرب الشرسة التي قامت بها فرنسا هي ضد كل القيم الإنسانية والحضارية والمسيحية، وأن الجزائر أصبحت مدرسة حرية للجنرالات والجنود الفرنسيين، فكل الضباط الذين حصلوا على ميداليات في الحرب الإجرامية أجروا تدريباتهم العسكرية والتربوية بالجزائر" (الهندي، 2012، صفحة 339). لقد كانت العقلية الثورية الجزائرية منظمة ومحكمة، تخطت عتبة فويا المستعمر، لتتغلغل في عمق الحياة أنماط من الوعي والنزوع الدؤوب إلى الحرية والتحرر، وما انتصار الثورة إلا انتصار لقيم الإنسان المكابد لمشاق الاستعمار وتحقيق لواقع ندي تكفي لحظة انبثاق أفق الحرية والديمقراطية النافية لأضرب الاستبداد. " فالإنسان الحر، أي الإنسان

الجديد الذي تتمثل فيه قيم الديمقراطية والتزاماتها، هو الحد الإيجابي بين نافيتين تنفي كل واحدة منهما هذه القيم وتلك الالتزامات: نافية العبودية ونافية الاستعباد" (نبي، تأملات، 1979، صفحة 70). إن للحضارة عقبات ترهقها، ولل فكر وثبات إبداعية تعرف تشكيلاها من خلال روح الانتفاضة الواعية، التثقيفية العقلانية، ومن خلال هذه الثنائية الصراعية يشتد الجدل بين اليأس والأمل، كما بين الضعف والقوة. أما آن الأوان للنخب والمثقفين العرب التحرر من طوبوياتهم ونرجسياتهم الهاذية، إن ثمة تقطعات تحدث شروخا في ثقافتنا العربية إذ نشدد على تسليب الواقع وتجهيل الجماهير، واعتقاد طغيان السلطة؟ أين نحن من الحرية؟ وكيف السبيل لتعقيدها في خلال هذه الحدود المترامية، والأوهام الإستكانية؟ " هكذا سيطرت مقولة التقدم على مرحلة بكاملها من التنظير الفكري والنضال السياسي، بل هي استحالت أسطورة ذات مفعول هائل على التعبئة والتنظيم، خصوصا بين الطلبة والمتعلمين، إنها أسطورة الإنسان التقدمي التي هيمنت على الوعي لدى شرائح ونخب توهمت أنها تمتلك مفاتيح الحقيقة و الحرية والسعادة، وأنها ستقود المجتمع والأمة وربما البشرية نحو الخلاص...فأسطورة الإنسان التقدمي كانت قصيرة النفس والأجل، لأنها ظلت مقتصرة على النخب ولم تتحول إلى ديانة شعبية أو إلى عقيدة جماهيرية، فقد احترق المشروع التقدمي بسرعة خصوصا بعد انفجار الحرب اللبنانية وقيام الثورة الإيرانية" (حرب، أوهام النخبة أو نقد المثقف، 2004، صفحة 124). إن الوعي الثقافي العربي مفعم بالروحانية المستغرقة في الاعتقاد الديني نعم، ولكن ثمة مؤاخذات كثيرة على تحكيم وعي وجداني مقطوع الصلة بالعقل الناظر، المتبصر، وإنما كان الوعي للتعقل أكثر منه للانفعال والتعاطف، لذا من الضروري إعادة قراءة شتات التأثيرات البينية الناشئة عن مخرجات صدام خطابي الأصالة والحداثة، وما يستوجب من خلاله فهم مضامين رسائل الأنتلجانشيا الخطابية وهي تحاكي صدمة الضمير العربي، الذي استفحل فيه خطر العصائية الجماعية التي تمخضت عن ظاهري النكوص والاستباقية المزعومة. إن الوعي الفردي كممثل الوعي الجماعي لا سبيل إلى جعلهما موجودين بالفعل إلا إذا تحرر أفق التفكير والخيال، واستثمار الطاقات الإبداعية، وكل ذلك مؤشر على الاندماج في فلك الحرية العقلانية، التي تستوعب فلسفة التقدم بالتجته تحرير وإنتاج النخب، وكذا تحويل النساق والفعال الاجتماعية، بما يتلاءم وخصوصية المعايير والقيم النهضوية، لشعب أو أمة من الأمم. وشأن الوعي أن يزيح عن الفكر وطأة عصاب الذات والمجتمع سواء لدى الجماهير أو ما استفحل بفاهمة الأنتلجانشيا العربية. "وعليه عندما نتحدث عن عصاب جماعي عربي، فإننا لا نعمه ليشمل جميع العرب في جميع بلدانهم وبجميع أجيالهم وطبقاتهم، بل نخصه لنقصه به حصرا الخطاب المعصوب الذي تنتجه وتعيد إنتاجه شريحة واسعة من الأنتلجانشيا العربية... وبما أن عصائية هذا الخطاب تكمن في تثبيته على الماضي، فمن الممكن إذن تحديده بمزيد من التخصيص بأنه خطاب التراث أو الأصالة، وبما أن كل نكوص نحو الماضي يجد مبرراته ودوافعه - اللاشعورية في الغالب - في إجابات الحاضر فإن كل خطاب تراثي يحمل أو يعكس ضمينا موقفا من الحاضر ومن العصر" (طرايشي، 1991، صفحة 11). وبقدر تجادل الخطابين التراثي والحداثي، فإن ثمة تصحيح ثوري لمسارات الفكر المتحرر من دوغمائية الخطاب الأحادي، وإذ ذاك يحصل تفعيل لوعي جدلي ثنائي يتماهى خلاله الماضي مع الحاضر، فتستحضر فيض الوعي اليقظ وهو يجاري مسارات نمو وتطور الوعي العربي التحرري، وهو يمارس صدامه الفعال بينه وبين الغرب. ويعقب طرايشي على هذه الأبجدية النزوعية

فيقول: "لنا أن نلاحظ أن صدمة اللقاء مع الغرب كان لها مفعول صحي من وجهة النظر النفسية، إذ استأقت الوعي الجمعي إلى تمثل الضرورة التاريخية للتغيير، سواء منه ما كان باتجاه إعادة تشكيل الذات Autoplastique أو ما كان باتجاه إعادة تشكيل العالم المحيط Alloplastique أي بعبارة أخرى ضرورة التكيف مع الواقع وتكييف الواقع في آن معا. وبذلك يمكن القول أن إستراتيجية التغير والتغيير المزدوجة هذه، التي تتلخص في إشكالية عصر النهضة برمتها، أتاحت للعرب أن يجتازوا بنجاح وسلامة نسبيين أخطر أزمة مر بها وجودهم عبر التاريخ" (طرايشي، 1991، صفحة 19). في خطاب التحدي العربي المعاصر يعتصر الوعي العربي أملا في تحقيق المقاصد الإحيائية لثورة الوعي اليقظ، وهو يماهي بذلك بين ما للأنا وبين ما للآخر، نازعا إلى دمج المواضي بالحواسر، في خلال الزخم الثقافي التاريخي، ليمارس الفكر المراجعات الإستيمولوجية الموضوعية التي عساها تعيد تشكيل استراتيجيات النماء وتفعيل النمو الفاعل في خطاب الثورة العربية المعاصر، على نحو تنبجس خلاله حرية الثقاف والتحرر من علائق الهيمنة الذاتية (الجهل، وخطاب الردة والتأسي). أن نفكر بكل حرية معناه أن نفكر من خلال الثقافة وبواسطتها، باعتبار الثقافة شريان حياة الفكر، وان نستثمر في الثقافة ومن خلالها معناه بعث أجيال لا يسكنها ألم. أن الأوان أن تستحال أمتنا تفكر وبالتغيير تؤمن وتتكلم، لتنسف وضعا استبد بالعقل والنفس إذ كانت تتألم.

3 - هوية الهوية^(*) العربية وتحدياتها الراهنية:

3 - 1 - أزمة ثقافة أم عائق ثقاف: الثقاف والتحاور، التقليد والتجديد، الأصالة والمعاصرة، الهوية والاعتراب وغيرها من الثنائيات الصراعية تعرض على المتقف العربي وغيره في الثقافات الغربية. لكن ما يميز ثقافتنا هو تفرد مشكلاتها بخصائص نوعية يحددها في الماضي التاريخ، وراهننا واقع التنمية وتحدي رهانات الحياة، ومن المستقبل استشراف افتراضي لمنطق حياة نأملها على نحو من الأنحاء في مستوييه المحلي والعالمي، فيعرض الفكر النخبوي إذ ذاك إلى تساؤلات تنصب حول هذه التجديلات الفاعلة بصراعها وتناقضاتها الدينامية باستمرار. ويعتبر سؤال الهوية أعمق وأبلغ قيمة وتأثيرا على الدراسات التي خلص إليها النخبويون في أمتنا. ومفكرون منقسمون بين مشيد بدور التخب في التمكين لتأصيل وبعث استراتيجيات النهضة والتنمية واستعادة سيادة الهوية والوحدة القومية، ومنهم من أقر بعجز العقلية العربية دون مجازاة الأساليب التنموية والفاعليات الفكرية لتحقيق التقدم المشروع، وإحياء الهويات الثقافية. "وفي أية حال لا وجود لهوية ثقافية نقية، صافية لا تحترقها الهويات الأخرى. في كل ثقافة ثمة وافد أو دخيل، مآله ان يصير أصيلا أو موروثا. نعم ثمة تحد تنافس بين الثقافات، ولكنه لا يلغي التعايش، أو التفاعل فيما بينها... بيد أن الصراع بين الهويات الثقافية أو النماذج الحضارية، لا يعني أن الهوية الثقافية لمجتمع من المجتمعات هي جنة الفردوس بالنسبة لأفراده"^{*}. ولا شك أن الهوية في نسبها إلى الإنسان دالة

^{*} الهوية هي موضوع إنساني خالص، فالإنسان هو الذي ينقسم على نفسه، وهو الذي يشعر بالمفارقة أو التعالي أو القسمة بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون، بين الواقع والمثال، بين الحاضر والماضي. هو الذي يشعر بالفصام، وهو الذي تنقلب فيه الهوية إلى اغتراب.

الإنسان وحده هو الذي يمكن أن يكون على غير ما هو عليه. فالهوية تعبر عن الحرية الذاتية

ميزة فرد أو كائن يمكن من هذا الوجه تشبيهه بفرد فيقال عنه أنه متماه... أو أنه "هو ذاته" في مختلف فترات وجوده (هوية الأنا)

على مقومات وجوده، وثوابت إنيته، كذا المجتمعات والأمم والحضارة الإنسانية العالمية في امتداداتها الواسعة، وإذا كان المثقف الحق حلقة وصل مركزية بين الأفراد والسلطة، فإن رسالة المثقف وجب أن تكون موضوعية بالقدر الذي يمكن من خلاله تأمين وحدة الأمة والمحافظة على ثوابتها، لا أن تكون مهمة نفس الهوية وتغريبها. ولا شك أن بعض المثقفين استمالوا عن مهامهم إذ لم تستقم أفكارهم توافقا مع أيديولوجيتهم الثقافية الأصلية فتغربوا وتعملوا. وعموما فنحن " إزاء زوج من المفاهيم تتألف من الثنائية المشهورة، التي طالما ترددت في خطابات المثقفين، أعني ثنائية الطليعة والجماهير، التي تشكل لدى المثقف مبدأ للرؤية والتصنيف" طرابيشي، 1991، صفحة(50). إن الفكر النهضوي هاهنا يجب أن يشغل على أضرب الانقطاعات والصيرورات لمسارات الاتجاهات الثقافية القومية، ومن خلالها يتم دمج القيم الحداثية التفاعلية مع القيم التاريخية الأصلية، في إطار تفاعل وتماهي الروحي بالمادي. كذا يعاد دمج الإنسان سوسيولوجيا وأيديولوجيا، وبالكاد تجمع الأنتلجاسيا العربية على حتمية اللفة اللغوية باعتبارها شريان التواصل والوحدة بين الشعوب والدول، ومن خلالها يتعرض الفكر النقاد إلى مسألة فحص مفهومي النهضة والثورة في قاموس الثقافة العربية، ومراجعة الثوابت المفصلية لخطاب التقدمية النهضوية ولا سيما ما اتصل باللغة والتاريخ والدين. ويتساءل مُجدَّ عابد الجابري حول عمق أصالة التاريخ والهوية، وعن مدى كفايتها لتحقيق ما حققته أمم غيرنا، مشككا في مدى مطابقة أفكار وإراث ثقافة الأسلاف مع ما يقتضيه وضعنا الراهن فيقول: " أي الأفكار التي يريدونها أن نتبعها من تراث الأسلاف يمكن أن نعلّق بها الرجاء؟ وهل صحيح أننا واجدون في أفكار أسلافنا بالأمس ما يمكن أن ينير أماننا الطريق؟ لقد كانت أفكارهم وليدة مشكلاتهم، فهل تكون مشكلاتنا هي نفسها مشكلاتهم، بحيث نختمي بحكمتهم في اقتراح الحلول؟" محمود، 1993، صفحة(84). لا شك أن التراث يحتل كياننا ويوجه سلوكياتنا ويحكمها، لكن الضرورة الحضارية تقتضي مساهمة دينامية التزامن الحضاري ونهج المناهج المثلى بكل ما تتضمنه من قوة وجود الأفكار الملهمة لشروط ومقتضيات النهضة. "سيتيح لنا فحص فكرة النهضة والثورة أن نظهر كيف تستمر العقول على الرغم من فارق اللهجة والمصطلح والتركيب في تثبيت الآفاق الثقافية ذاتها والاصطدام بالعوائق الاجتماعية - الثقافية والاقتصادية ذاتها... إن النهضة والثورة مفهومان يحيلان على أيديولوجية نضال بأكثر من إحالتها على فكر تأملي يبحث عن معنى. إثمهما كليهما يغطيان رسالتين متكاملتين: 1- الرجوع إلى العصر الذهبي للإسلام وإلى الثقافة المدرسية. 2- محاربة التأثير الانحلالي ومقاومة الاعتداءات العسكرية والدبلوماسية،

"كما ان لوك في الفصل المقابل من أبحاث، وليبنتر في الفصل نفسه يستعملان للدّل على هذه الفكرة عبارتي هوية فردية وهوية شخصية. وهذا الخير يميز فوق ذلك الهوية الطبيعية والواقعية (المشتركة بيننا وبين البهائم والمؤسسة لتواصل نفسها) من الهوية الأخلاقية القائمة على "الوعي الذاتي" أو شعور النا الذي يجعلنا قادرين على الشعور بالعقاب والثواب". أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الأول A-G ص 607.608.

" الهوية الحقيقية المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق.

" الهوية السارية في جميع الموجودات ما إذا أخذ حقيقة الوجود لا بشرط شيء ولا بشرط لا شيء". السيد الشريف الجرجاني: كتاب التعريفات، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، د ط، د ت، ص 216.

الهوية خاصة بالإنسان والمجتمع، الفرد والجماعة

والاقتصادية والثقافية الغربية") أركون، 1985، صفحة(147). إن التجربة العربية العصبية إبان الاستيطان الغربي تركت لها آثارا وخيمة على الأرض والإنسان والقيم والمكتسبات المادية والروحية، حولت فلسفة الحوار الحضاري إلى فلسفة صدام حضاري أيديولوجي وعقائدي، أبان من خلاله المستعمر عن مقصد الاحتلال (طمس الهويات الوطنية، وتغريب اللسان و اللغة الوطنية، وتهوين الإرث التاريخي). ذاك هو هاجس الحراك القومي النازع إلى الالتفاف حول المركزية القومية عن طريق حماية وصيانة مقومات الهوية العربية. و "لئن بدا هاجس الهوية العربية يتيقظ حسه لدى الكثير من لأقطار الوطن العربي، فإنه في بعض دول الخليج قد اشتد ضغطه وعلت نبرته، لأن تواتراته قد صعدت إلى سطح الحياة الاجتماعية اليومية. وفي دولة قطر كان الانتباه مبكرا للتعلق المكين الذي يحتمه ولوج العرب إلى عصر التكنولوجيا الافتراضية، وفي خضم سنوات الوعي بقضية الهوية واللغة العربية على مستوى العمل العربي المشترك (2007 - 2009) بادر المجلس الوطني للثقافة والتراث في دولة قطر ... إلى تنظيم ندوة بعنوان (الهوية والمعلوماتية)" المسدي، 2014، صفحة(217). إن العوالم الافتراضية العجيبة التي ابتكرتها العقول الذكية في مطلع الألفية الثالثة ليهدد العوالم الضعيفة ويلحق بها أشد الأخطار والمكائد لجعلها تابعة مستغربة على الدوام. إنها الحرب الذكية التي تتهدد كينونة هوية الأمة العربية وعقيدتها لدى حري بالعقل العربي مقارعة التهديد بالعمل والوحدة، وتوحيد السياسات والبرامج التنموية خاصة على مستوى منظومة الأفكار والبحوث ذات الجودة والكفاءة، حيث يفترض دمج المعلوماتية بالهوية. و" كيف لا نقرن المعلوماتية بالهوية حين يستشري تعقب خطى العربي حيثما حل... وهكذا تتضح لنا - بشكل أولي- ملامح شبكة العلاقات التي عليها تستوي جدران القضية المطروحة: فعن الوجه الأول للمعلوماتية ينبثق الجسر الرابط بينها وبين (مجتمع المعرفة) وعن الوجه الثاني ينجلي الجسر الجامع بينها وبين فكرة العولمة، وعندئذ نكتشف السياق الأسر الذي تنحشر داخله منظومة الهوية هذه. إذا سلمنا بأن عمودها الفقري هو (الأنا والآخر) عرفنا كيف يمتد بنا التفكير إلى حوار الثقافات، وإلى مبدأ التنوع البشري الخلاق" (المسدي، 2014، صفحة(220). إن الثورة المعلوماتية هي أثر لفاعلية الأيديولوجيات المادية التي أمدت الحضارة المدنية بآليات التكيف مع ضرورات الحياة وعقباتها، لكن التقنية في كثير من الأحيان تغدو مضرّة ثقافيا، إذا لم تقترن بأخلاقياتها الروحية المستنبطة من القرآن الكريم، وقد كان الإسلام عامل خلاص للأمة من عديد الاختلالات، إذ أعاد للحياة توازناتها الحيوية. "لقد استرد الإسلام كدين وكتراث فكري حيوية مطابقة لتسارع التاريخ في كل المجتمعات الإسلامية إنه يلعب اليوم دورا من الطراز الأول في عملية إنجاز الأيديولوجيات الرسمية والحفاظ على التوازنات النفسية - الاجتماعية، وإلهام المواهب الفردية. من هنا نجد أن الحاجة إلى فهم أفضل للمحتوى الموضوعي للرسالة القرآنية وفكر العلماء المؤسسين للتراث الحي تبرز ليس فقط عند الأقلية من الخاصة، كما كان عليه الحال في الماضي، وإنما أيضا عند الجماهير الشعبية التي تتزايد باستمرار" أركون، تاريخية الفكر العربي الاسلامي، 1996، صفحة(55). وغني عن البيان اعتبار الإسلام مرجعية تأصيل وتقويم الهوية، أما الأيديولوجيا من جهة ما هي منظومة أفكار وفلسفة حياة، فإنها لا تختلف في أهدافها فيما يفيد بموجبه استثمار الإسلام لتقوية روح النضال، عبر مقارنة مناحي التفكير السياسية والاجتماعية والتاريخية، لبلوغ نسق الوحدة القومية المشروعة. " الأيديولوجيا تعرب عن الطريقة التي بها تدرك طبقة اجتماعية أو جماعة قومية علاقاتها بشروط وجودها، وهذا الطراز من حياة الفكر يسود في

أوقات الفوران الاجتماعي والسياسي وإن وظيفته هي وظيفة قناع وحجاب معا: إنه يقوم في الواقع على إرجاع تعقد الواقع التاريخي والسوسيولوجي والنفسي إلى جملة من الآراء المتسقة إلى حد كبير أو صغير، وغرضها إبراز قيمة أهداف عمل جمعي وتسويغها" أركون، الفكر العربي، 1985، الصفحات (161-160).

3 - 2 - الهوية الثقافية وجدل التأصيل والتحديث:

الهوية اصطلاح مفعم بالحمولات الدلالية، والإشكاليات المعرفية، والسجلات الفكرية، التي أوغلت بالفكر الناظر في عمق التاريخ الثقافي لاستكناه حقيقتها وماهيتها في مسار نخضة حضارتنا العربية الإسلامية، ويقرن مفهوم الهوية العربية بعبارات تشير إلى مقصدها وماهيتها مثل "القومية العربية(*)" و "الثقافة العربية الإسلامية" و "الوعي القومي العربي" و "الحركة القومية الإسلامية" و "النهضة العربية" وغيرها من المفاهيم التي تنزع بقصدها الدلالي إلى تأصيل الفعل الثقافي العربي الإسلامي خلافا للفعل الثقافي الغربي. تبعا لذلك طرح سؤال الهوية وعرض على النخب والمثقفين في الخطاب العربي الإسلامي المعاصر، لينظر في مقولاته وبنياته، وشروط فهمه واستراتيجيات التعامل مع المشكلة في ظل واقع استشكالي، يستبطن في أعماقه أجيج الصراع الإيديولوجي والديني بين الشرق والغرب، يتسيد خلاله منطق الوعي الثوري التقدمي، ويتحدد من خلاله منطق تصنيف العوالم (بين مراكز وهوامش). تبتدئ أولى المحاولات النهضوية التأسيسية مع رفاة الطهطاوي. "إن أول كتاب في الإصلاح هو قصة رحلة (رفاعة الطهطاوي) إلى باريس (تلخيص الإبريز) يرسم سلفا الأفكار الأساسية للنهضة، ويسوغ مفهوم انبعاث الحركة الثقافية العربية" أركون، الفكر العربي، 1985، صفحة (148). إن مشروع إحياء الهوية العربية الإسلامية هو الطرح الحقيقي للفكر الوحدوي الإصلاحي، الذي يستقرى تموضع الوعي العربي بين مراتب سلم الوعي العالمي، ومن خلاله تتحدد مشاريع الإصلاح الثقافي وتفسير الصلات بين مختلف المستويات الفاعلة ثقافيا واجتماعيا وسياسيا. يحدث ذلك في ظل تعالي الأصوات المنددة باستئصال كل أشكال الهيمنة والاستبداد الذي ما فتئت تنتهجه القوى الاستعمارية لمحاصرة ووأد المشروع القومي النهضوي للأمة العربية في مهده. "فالقومية في جوهرها دعوة لتأكيد هوية الأمة وشخصيتها الخاصة، المميّزة لها أمام الغير... أي أنها فكرة وحركة نضالية تهدف إلى بناء دولة خاصة بالعرب، بعد أن تتحرر الأمة من الحكم الأجنبي، وتتوفر الحرية لأبنائها، وهي حركة اعتراض ومقاومة وجمع شمل الأمة وإنحاضها، وعليه فإنها حركة لتقويض الأوضاع الفاسدة وإزالتها من جهة، وإقامة نظام عربي جديد أفضل من جهة ثانية، وهي حركة مستقبلية، تعتمد على الجيد والحي والمفيد من الماضي لتغير الحاضر، ودفعه إلى وضع مستقبلي أحسن وأكثر تقدما" الهندي، 2012، صفحة (180). إن النزعة الاستباقية لضرورة النهضة تحتل في متونها مدخلات تعقيدية لواقع الصراع بين العرب وبين الغرب، لذا يعتبر خطاب الهوية ابتداء من عصر النهضة أجل وأقوى أشكال الخطاب الذي ترمّس عليه النخبويون، وهو مؤثر على الروح الاستمرارية لخطاب التحرر والتمكين الحقيقي لسيادة الكرامة العربية، وسمو انتفاضة وعيها المفعم بالرغبة في مقارعة العدو فكرا وبفكر وثقافة بثقافة، كي يظل العرب على صلة بسيرونة النهضة. هكذا "يحل خطاب الهوية الثقافية في العالم الثالث تدريجيا محل خطاب التحرر القومي، الذي شاع إبان الاستعمار، إنه شكل جديد للقومية، يعبر عن نفسه بتعابير التناقض السياسي... يفترض خطاب الهوية ككل أيديولوجية، وجود حقيقة ملموسة (ثقافة خاصة بكل إثنية و أمة)،

يسعى إلى نشر فحواها وتوضيح مضمونها. بيد أن هذا الانتقال من مفهوم الثقافة إلى مفهوم الهوية يدخل عناصر جديدة، تتدخل على مستوى تعريف الثقافة، كما على مستوى العلاقة بين الثقافة وكل من السلطة والسياسة والاقتصاد" غليون، 1992، صفحة(89). إن الصلات التفاعلية بين الإرث الثقافي ومناحي الحياة الاجتماعية لا يبلغ مقدارا من الفعالية الدينامية إلا باعتماد آليات تبليغها وترسيخها في الفعل الثقافي التواصل، وأخصها اللغة، إذ تعزز القيمة التواصلية الحضارية، وكذا الأفكار الحية إذ تعزز القيم السيكوسوسيولوجية من جهة تعزيز ملكة الوعي الثقافي المجسد للقيم الإسلامية المقدسة. وقد لخص المفكر الجزائري "مالك بن نبي" مضمون هذه الثنائية الدينامية في مؤلفه: "مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي" إذ يقول: "لا يكفي أن نعلن عن قدسية القيم الإسلامية، بل علينا أن نزودها بما يجعلها قادرة على مواجهة روح العصر... ونحن اليوم أكثر من أي وقت مضى بحاجة للتذكير بهذا الهدى النبوي، الذي يعطي في حالة معينة الأولوية لفضيلة الفعالية على فضيلة الأصالة، ومن المناسب أن نشير إلى هذا الجانب من الفعالية الإسلامية، في الوقت الذي تقارن التقاليد الإسلامية ببحث في القيم العملية الصناعية لإثبات عدم صلاحية الإسلام في القرن العشرين" نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، 2002، صفحة(112). وتلك مشكلة تطرح على صعيد الدراسات المقارنة بين الأديان وكذا بين الأيديولوجيات، وإبراز خلاصة تلك المقارنات بين حضارة أوروبا وبين حضارة العرب والمسلمين لتحديد نماذج القيم التي أريد لها أن تتسيد، قياسا بقدرتها الفعالة في تغيير واقع الأمة. ولا شك أن حول هذه المعادلة تباينت قراءات المفكرين العرب، فيما إذا كان يجب ترجيح قيم الأصالة على قيم الفعالية، أم يوجب المقام دمجها. " فأوربة رجحت قيم الفعالية على قيم الأصالة في أسلوبها الاستعماري، ومنذ ذلك الحين أضحت لعالمها الثقافي وجهان: وجه يلتفت إلى ذاتها بإطلاقيته الخاصة به، ووجه يتلفت نحو العالم وهمه الوحيد الفعالية. والنخبة المسلمة التي تكونت عبر الجامعات الأوروبية لم تر غير وجه واحد، أما وجهها الآخر فقد حجب عنها، كما يحجب وجه القمر عن سكان الأرض. من هنا كان في تكوينها خلط يرثى له بين مظهرين متميزين لفكرة واحدة: أصالتها وفعاليتها، وهذا الخلط في نفسية النخبة المسلمة الحاضرة هو النواة التي حولها تتجمع سائر دسائس ومناورات الصراع الفكري" نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، 2002، صفحة(107). إن صناعة المجد وبعث آفاق الحياة المجدية بمنافعها في أمتنا ليس وقفا على ما يقدمه أبطال الفكر وجهابذة الثقافة، ولكن حتى الجماهير العربية مدعوة للالتفاف حول قادتها النخبويين وعلمائها إذ ينتصرون للحقيقة، حقيقة أن النهضة لا تصنعها إلا الأفكار الحية، لما لها من جودة وقيمة في فهم وتفسير وتغيير الواقع، وإذا قدر لثورة أن تنجح فبفضل فعالية أفكارها ونضج وعي صانعيها من المفكرين والعلماء. وثمة نماذج ثورية ساطعة في تاريخ أمتنا المعاصر مثل الثورة التحريرية الجزائرية. " فافتقاد الأفكار الأصلية من ناحية، وافتقاد الأفكار الفعالة من ناحية أخرى جعل الشعب الجزائري يراوح ولا يتقدم... والشعب الجزائري هو الذي قطع أخيرا جمود هذا الفاصل الزمني فتخلّى بالفعل عام (1954) عن جميع قاداته الروحيين، لكي ينطلق وحده في طريق الثورة" نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، 2002، صفحة(140). إن مسار النهضة في أمتنا شاق وطويل طالما أن ثمة عقبات لا زالت تبحث لها عن مخرج، لأن ثقافتنا لا زالت جريحة استعماريًا واغترابيًا، وهويتنا لم ترق بعد إلى مستويات التعزيز العقلانية الموضوعية لفلسفة التعايش الحضاري مع تبدلات الحياة وتعقيدات الحضارة المعاصرة.

4. خاتمة:

آمنت مد فكرت وتبصرت بأن الأفكار هي التي تغير العالم، فتصيره عوالم شتى، وأن أمة تحترم أفكارها وتعزز ثقافتها بمفكرها لهي أمة ذات شأن، وما أدركت أمة من الأمم نخضتها وتطورها إلا لأنها اعتنت واهتمت بالعلم والعلماء، وأن وعي تحفه الأفكار الحية هو وعي خلاق. وإن الخطاب القومي العربي الإسلامي - برغم ما أصابه من انتكاسات هو خطاب ذا شأن، من جهة ما هو باعث على إيقاظ الضمير العربي من غفلته، وقد تحققت وثبات بفضل جودة الثورات الخلاقة في مجتمعاتنا وهي تعبد المسارات باتجاه بعث القيم التحررية والفكرية (الثقافية)، كما لا يمكننا إغفال توسع أفق الحوار العربي الإسلامي استنبينا وعلاجاً لمشكلات التنمية. أما مسألة الهوية في الخطاب العربي المعاصر فلا شك أنها ليست بمحدودة حول خطاب الأزمة، ولكن كذا ثمة مؤشرات عديدة توحى بتعزيز مقومات النماء والتقدم على أصعدة عدة، تنزع في مجملها إلى تعزيز القيم والمكتسبات وكل أشكال الثقافات التنويرية بهدف توحيد أهداف التنمية والتقدم في الأمة العربية، ودور كل أسباب ودوافع الصراع، وتجاوز كل مظاهر التغريب والتقليد الذي شأنه أن ينسف مشروع قيام هوية موحدة، وثقافة مشتركة من أقصى المغرب إلى أقصى المشرق. تلك هي رهانات النخب في مشروع الحضارة العربية المعاصرة، تنمة لمشروع النهضة والإصلاح الذي بوشر بتفعيله زعماء الإصلاح، وأن ثمة عقيدة سوية ونهج قويم لبلوغ مقاصد المشروع النهضوي العربي.

قائمة المراجع:

- (1) أركون م. (1985). الفكر العربي. (3. éd.) ع. العوا. Trad.) بيروت: منشورات عويدات.
- (2) أركون م. (1996). تاريخية الفكر العربي الاسلامي. (2. éd.) بيروت: مركز الانماء القومي.
- (3) العروي ع. ا. (2012). مفهوم الحرية. الدار البيضاء: المركز الثقافي.
- (4) الكواكي ع. ا. (2006). طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد. (1. éd.) بيروت: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع.
- (5) الهندي ه. (2012). الحركة القومية العربية في القرن العشرين. (1. éd.) بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- (6) حرب ع. (2004). أوهام النخبة أو نقد المثقف. (3. éd.) بيروت: المركز الثقافي العربي.
- (7) حرب ع. (2008). تواطؤ الأضداد (الالهة الجدد وخراب العالم). (1. éd.) بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون.
- (8) طرابيشي ج. (1991). المثقفون العرب والتراث. (1. éd.) دمشق: رياض الريس للكتب والنشر.
- (9) عبد السلام المسدي. (2014). الهوية العربية والأمن اللغوي) الإصدار. (1. بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
- (10) غليون ب. (1992). الوعي الذاتي. (2. éd.) بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- (11) محمود ز. ن. (1993). تجديد الفكر العربي. (1. éd.) القاهرة: دار الشروق.
- (12) نبي م. ب. (1979). تأملات. (1. éd.) دمشق: دار الفكر.
- (13) نبي م. ب. (2002). مشكلة الافكار في العالم الإسلامي. دمشق: دار الفكر.
- (14) نبي م. ب. (1984). مشكلة الثقافة. (4. éd.) ع. ا. شاهين. Trad.) دمشق: دار الفكر.
- (15) نبي م. ب. (2012). وجهة العالم الاسلامي. (2. éd.) ع. ا. شاهين. Trad.) دمشق: دار الفكر.